تَفْرِيغُ خُطْبَتَيْ

فَضْلُ العُلَمَاءِ وَمَكَانَتِهِمْ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدِ بْنَ خَدَّةْ –حَفِظَهُ اللهُ وَرَعَاهُ–

فَرَّغَهُمَا وَاعتَنَى بِهِمَا

أَبُو مَالِكٍ إِبْرَاهِيمُ الفُوكِي –كَانَ اللهُ لَهُ–

مَجَالِسُ العِلْمِ النَّافِعِ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ بِالجَزَائِرِ

Majaliss.com

بن خدة

benkhadda.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمعة الأولى (١٤ ربيع الثاني ١٤٣٧هالموافق ١٥ جانفي ٢٠١٦م)

[الخطبة الأولى]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**} آل عمران١٠٢.

{**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**} النساء١.

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠)، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**} الأحزاب٧٠-٧١.

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله: أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله تعالى، فإنها من خير ما نتواصى به، لما فيها من التذكير بالله تعالى، والتخويف من الله تعالى، والحث على خشيته تعالى، وذلك سبب الانتفاع بالذكر، وسبب النجاة من النار، قال الله سبحانه {**فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠)وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى**}[الأعلى٩-١١]، وقال جلّ وعلا {**فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى**} الليل١٤-١٨.

عباد الله -أيها المؤمنون- لقد امتنّ الله جل وعلا على هذه الأمة ببعثة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فقال جلّ وعلا {**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**} آل عمران١٦٤، فكانت هذه النعمة -عباد الله- نعمة البعثة المحمدية، من أعظم النعم على هذه الأمة.

وإن من تمام هذه النعمة -عباد الله- توريث الله جل وعلا علوم هذا النبي الكريم للعلماء، فالعلماء ورثة الأنبياء، يقومون بمهمة البلاغ والتعليم والتوجيه وبيان حدود الحلال والحرام، ولمّا كان العلماء كذلك -عباد الله- فلا شك أن لهم قدرا لائقا بهم من الاعتبار، والمكانة والتقدير، والموالاة والاحترام، وعلى هذا جرى سلف هذه الأمة، تجاه علماءها، فكان العلماء ولاة صدور المجالس، إليهم مرجع الأمة في كل حال، وهم مفزع الأمة حين يحزّ بها أمر ذو بال، والناس في جملتهم يعرفون للعلماء قدرهم ومنزلتهم.

ولكن -عباد الله- خلفت فيهم خلوف قلّ فيهم العلم وأهله، وندر فيهم الأئمة الجهابذة، وقلّ اعتبار الناس لتلك القلّة الباقية من السلف الصالح، فلم يُنزل هؤلاء العلماءَ منازلهم، بل تفرّقوا فيهم على طرائق.

فمن الناس من يرى أن العلماء كسائر الناس، ليس لهم اعتبار في الشريعة، ليس لهم اعتبار يُعلي من قدرهم، فكان في هؤلاء شَبَه بالخوارج الذين لم يرعوا العلماء من الصحابة الكرام قدرهم عليهم الرضوان، وكان مآل الخوارج أنهم ضلوا وأضلوا -عياذا بالله-.

ومن هؤلاء الناس طائفة، قدّسوا العلماء ورفعوهم فوق أقدارهم، فقلّدوهم دينهم، وصار المذهب الواحد فيهم، قول شيخه لا دليله من كتاب أو سنة، وهذه الطائفة من الناس، فيهم شبه بالروافض الذين جعلوا الأئمة معصومين.

وطائفة أخرى من الناس، رعوا للعلماء منزلتهم، ولكن لم يعاملوهم باعتبارهم بشرا يقع منهم الخطأ والهوى، فمتى وقع الخطأ من العالم عظّموه وكبّروه وطاروا به كلّ مطار، فهذه الطائفة جمعوا بين تقدير العلماء بجعلهم لا يقع منهم الخطأ، وبين إهدار مكانة العلماء بالكلام في الخطأ وتشهيره والتعيير به، هذا إن كان الخطأ وقع حقا، ولم يكن هؤلاء الأقوام هم الذين افتعلوا مثل هذه الأخطاء.

ولأجل هذا عباد الله، فإنه من المناسب جدا، خاصة في هذا الزمن، وهذه الآونة، من المناسب أن نذكّر أنفسنا، وإخواننا، بمكانة العلماء، ومنزلة العلماء من الدين، وبيان الاعتبار الذي لهم في هذه الشريعة، حيث مُيّزوا به عن غيرهم.

عباد الله: لقد جعلت الشريعة للعلماء اعتبارا، وأنزلتهم مقاما رفيعا، حيث جعلتهم أدلّاء على أحكام الله جل وعلا، فكان هذا الاعتبار -عبد الله- دالا على أمرين:

أولهما= وجوب طاعة العلماء، وأن طاعتهم هي طاعة لله جل وعلا، وطاعة لرسوله عليه الصلاة والسلام، ما لم يأمروا بمعصية.

وثاني الأمرين= أن طاعة العلماء ليست مقصودة لذاتها، بل هي تبع لطاعة الله جل وعلا، ولطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وهذا الاعتبار -عباد الله- اعتبار عظيم، ومقام رفيع، وقد دلّت عليه جملة من الأدلة من نصوص الكتاب والسنة، وهذه الأدلة في نفسها تدل على فضل العلماء.

فمن هذه الأدلة على هذا الاعتبار -وهو أن العلماء أدلّاء على أحكام الله فيجب طاعتهم لأنها من طاعة الله ومن طاعة رسوله عليه الصلاة والسلام، وليست هي طاعة مقصودة لذاتها، بل تبع لطاعة الله وطاعة رسوله- فمن هذه الأدلة أن الله تعالى أمر بذلك فقال {**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**} النساء٥٩، قال ابن عباس رضي الله عنهما يبيّن معنى أولي الأمر (**يعني أهل الفقه والدين وأهل طاعة الله**

الذين يعلمون الناس معاني دينهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فأوجب الله طاعتهم على عباده).[1]

وذكر طائفة أخرى من العلماء أن المراد بـ: أولي الأمر، هم الحكام والأمراء قال الإمام ابن القيم رحمه الله (**والتحقيق أن الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول، فطاعة الأمراء تبع لطاعة الله)**[2] انتهى كلامه رحمه الله.

ومن الادلة عباد الله، أن الله جلّ وعلا، أمرنا بالرجوع إلى العلماء، وبسؤال العلماء عمّا أشكل علينا قال تعالى {**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**}النحل٧، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي (**وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل. فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعة)**[3] أي أن الجاهل فيما لا يعلم فإن خروجه عن هذه التّبعة بسؤال العلماء.

فكان العلماء بهذا -عباد الله- أدلّاء على أحكام الله، فبهم يُعرف حكم الله جل وعلا، ويُستعان بفهمهم لمراد الله عز وجل، ومن الأدلة على هذا الاعتبار الذي أعطتهُ الشريعة للعلماء، أن الله جل وعلا عظّم قدر العلماء، فأشهدهم دون غيرهم، على أعظم مشهود قال جل وعلا {**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**}آل عمران ١٨، شهد الله جلّ وعلا لنفسه بالوحدانية، وأشهد على ذلك الملائكة، فقرن شهادة الملائكة بشهادته، ثم أشهد على ذلك أولوا العلم فقرنَ شهادة أوي العلم -وهم العلماء- بشهادة الملائكة وبشهادته سبحانه وتعالى، وهي شهادة على أعظم مشهود، ألا وهو الشهادة لله بالوحدانية، قال الإمام القرطبي رحمه الله (**فِي هَذِهِ**

---

[1] [رواه الطبري في تفسيره ٩٤١/٥].
[2] [نقلا من "معاملة العلماء" (ص ٣)].
[3] [تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٤٤١].

الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى فَضْلِ الْعِلْمِ وَشَرَفِ الْعُلَمَاءِ وَفَضْلِهِمْ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ أَشْرَفَ مِنَ الْعُلَمَاءِ لَقَرَنَهُمُ اللَّهُ بِاسْمِهِ وَاسْمِ مَلَائِكَتِهِ كَمَا قَرَنَ اسْمَ الْعُلَمَاءِ)[1]، انتهى كلامه رحمه الله.

فكان هذا عباد الله دليلا على تعديل العلماء، وعلى الثناء على العلماء، وعلى أن الخلق تبع للعلماء، وأن العلماء هم الأئمة المتبوعون، وفي هذا بيان لفضلهم، وشرفهم وعلو مكانتهم، وأن لهم في هذه الشريعة اعتبار.

ومن الأدلة أيضا أن الله جلّ وعلا، نفى التسوية بين أهل العلم وغيرهم فقال {**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**}الزمر٩، فهذا دليل على اعتبار العلماء في الشرع، وبيان منزلتهم بين الخلق، قال جل وعلا {**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**} المجادلة ١١، قال الإمام الطبري رحمه الله (**ويرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين، الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات، إذا عملوا بما أمروا به**)[2].

ومن الأدلة -عباد الله- أن الله جل وعلا جعل العلماء هم أهل الفهم فقال تعالى {**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**} العنكبوت٤٣، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (**أَيْ وَمَا يَفْهَمُهَا وَيَتَدَبَّرُهَا إِلَّا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ الْمُتَضَلِّعُونَ مِنْهُ**)[3]، وإذا رجنا -عباد الله- إلى كتب العلماء، وما يقولونه ويكتبونه، وهم يحرّرون مسائل الشرع، عقيدة أو فقها ومعاملة، أو أخلاقا وسلوكا، لوجدنا في ذلك الشيء العظيم، الذي دلت عليه هذه الآية، {**وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**}، فهذا فيه مدح لهذه الأمثلة، التي ضربها الله جل وعلا، ومدحل لتدبرها، ومدح لمن تدبرها وعقلها وفهمها، ومن أعلى درجات هذا المقام العلماء، فدلّ ذلك على أن الشريعة أعطت لهم اعتبارا عظيمة.

---

[1] [تفسير القرطبي ٤١/٤].
[2] [جامع البيان في تفسير القرآن -تفسير الطبري- ٢٤٣/٢٣].
[3] [تفسير ابن كثير ٢٥٣/٦].

يجب علينا معاشر المؤمنين أن نعطي لهؤلاء العلماء هذا الاعتبار، الذي أنزلتهم إياه هذه الشريعة الغرّاء، أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم إنه غفور رحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، لا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد -عباد الله-:

فمن الأدلة على اعتبار الشريعة للعلماء، أنهم هم أهل خشية الله جلّ وعلا، قال ربنا سبحانه {**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**} فاطر٢٨، فالعلماء هم الذين يخشون الله جلّ وعلا، ويخطئ بعض الناس في قراءة الآية، على غير قراءتها السليمة، فيظن أن الله يخشى من علمائه، وهذا فهم ذميم غير صحيح، {**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**}فاطر٢٨، أي أنه تبارك وتعالى حصر خشيته في أولي العلم، فأولو العلم هم أحق الناس، بخشية الله سبحانه وتعالى، ووجه ذلك كما قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في معنى كلامه ذكر أن العلم النافع، يدل على أمرين اثنين:

١= أولهما معرفة الله تعالى بصفاته، وما يستحقه من الأسماء الحسنى، والصفات العلا، وذلك يستلزم إجلال الله، وتعظيمه، وخشيته، ومحبته، ومهابته، ورجاءه، والتوكل عليه، والرّضا بقضائه، والصبر على بلائه.

٢= وثاني الأمرين المعرفة بما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويسخطه ويبغضه، من الاعتقادات والأقوال والأفعال، وهذا يوجب لمن علمه المسارعة إلى ما فيه محبة الله ورضاه، والبعد عما يكرهه ويسخطه، ولذلك كلما ازداد العبد علما، ازداد خشية لله تبارك وتعالى.

فالعلم النافع عباد الله يتضمن هذين الأمرين، معرفة الله جل وعلا، بأسمائه وصفاته، ومعرفة ما يحبه ويرضاه، وما يبغضه ويسخطه، والعلماء هم أوفر الناس معرفة بهذين الأمرين، فكانوا هم أولى الناس بخشية الله سبحانه وتعالى.

وهذه الخشية -عباد الله- لها أثرها في اعتبار أقوال العلماء في الشريعة، لذلك قال ربنا {**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**} الجاثية١٨، فالعالم -عباد الله- لعلمه هذا الذي علّمه الله إياه، وخشيته لله سبحانه وتعالى، صار من أبعد الناس عن الهوى، وصار من أشد الناس وأقربهم اتباعا للحق، فكان لقوله اعتبار لهذه الشريعة.

ومن الأدلة على هذا الاعتبار، أن العلماء هم أبصر الناس بالشر، ومداخله، قال ربنا جل وعلا {**قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ**} النحل٢٧، فهؤلاء العلماء هم الناطقون بالحق في الدنيا، وهم الناطقون بالحق في الآخرة، فكان لهم اعتبار عند الله جل وعلا، وعند خلقه كما قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير الآية.

وقال ربنا سبحانه وتعالى {**وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا**} القصص٨٠، فدلوا هؤلاء الذين اغتروا بما كان لقارون من أموال، وجاه وسلطان وغير ذلك، دلوهم على خسارة ما هو فيه، وأن العاقبة للمتقين، دلّهم على هذا أولو العلم فقالوا -قال الله تعالى- {**وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ**}، فأهل العلم أبصر الناس بالشر.

أما الذين يغترون بالدنيا، فما علموا هذا إلا بعدما وقعت العقوبة، فقالوا كما قال ربنا {**وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**} القصص ٨٢، وما هدوا لهذا وما عرفوا إلا بعدما عاينوا العقوبة بعيونهم، وأما أهل العلم، فهم أبصر الناس بالشرّ، وذلك لما لهم من الاعتبار في هذه الشريعة.

وقال ربنا {**لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**} المائدة٦٣، أي أن هؤلاء الأحبار، وما كانوا عليه من العلم، كانوا يدلون الناس على فعل الخير، وترك الشر.

وقال جل وعلا {**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا**} النساء٧٣، فأهل العلم أبصر الناس بالشر، ولهذا يلزم اتباعهم، ويلزم معرفة منزلتهم وقدرهم، فيلزم على الناس -عباد الله- لزوم طاعة العلماء، والاستجابة لتحذيرهم من الشر، ونهيهم عن المعاصي.

ومن الأدلة -عباد الله- أن العلماء ورثة الأنبياء، فهم المفضلون بعد الأنبياء في هذه الأمة، فالمقدم في الفضل الأنبياء والرسل، وفي هذه الأمة بعد نبيها عليه الصلاة والسلام، أفضل الناس هم الصحابة الكرام، ثم يأتي بعد ذلك العلماء كما ذكر أهل العلم، جاء في الحديث عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**وإنَّ فضلَ العالِمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ**) رأيتم القمر ليلة البدر لمّا يتنصف الشهر العربي، يكون القمر تاما، ويكون بدرا، ويكون من أجمل وأحلا ما يُرى في نوره وفي جماله، ففضل العالم على العابد، كفضل القمر على سائر الكواكب، (**وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ ، وإنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثُوا دينارًا ولا درهمًا ، ورَّثُوا العِلمَ فمن أخذَه أخذ بحظٍّ وافرٍ**)[1]، رواه الإمام أحمد وأبو داوود.

قال الإمام ابن رجب رحمه الله في هذا الحديث (**يعني أنهم ورثوا ما جاء به الأنبياء من العلم، فهم خلفوا الأنبياء في أممهم بالدعوة إلى الله وإلى طاعته، والنهي عن معاصي الله والذود عن دين الله**)[2]، انتهى كلامه رحمه الله.

[1] [صحيح أبي داود ٣٦٤١].
[2] [شرح حديث: أبي الدرداء في طلب العلم، ص٤٦].

فإذا كان العلماء -عباد الله- قد ورثوا عن الأنبياء هذا العلم الذي أوحى الله جل وعلا به على أنبيائه، فلا شك أنهم ورثوا مع ذلك شيئا من الاعتبار الشرعي، الذي لابد أن ننزلهم إياه، والذي ذكرناه وأشرنا إليه أولا.

ولا تزال الأدلة كثيرة من نصوص الكتاب والسنة، تدلّ على فضل العلماء، ومكانة العلماء، وما لهم من الاعتبار في هذه الشريعة الغراء، فاحذر أخي المسلم أن تستخف بالعلماء، وأن تستهر بالعلماء، قال الإمام ابن المبارك رحمه الله **(من استخف بالعلماء ذهبت آخرته)**[1] ، وقال الإمام الطحاوي رحمه الله **(وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ -أَهْلُ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلُ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ-، لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ)**[2] ذكر هذا رحمه الله وهو يذكر ويكتب عقيدة الأئمة الأربعة رحمة الله تعالى عليهم.

وقال الإمام ابن عساكر رحمة الله عليه **(واعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته، أن لحوم العلماء رحمة الله عليهم مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، لأن الوقيعة فيهم بما هم براء أمر عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاف على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم)**[3]، انتهى كلامه رحمه الله.

فنسأل الله جلّ وعلا أن يرحم علماءنا، وأن يحفظ باقيهم بالخير وعلى الخير، وأن يديمهم لنا منارة في هذه الدنيا، أدلّاء على صراط الله جلّ وعلا، ينيرون بكتاب الله تبارك وتعالى، ويبصّرون بالحق العيون، ويدلّون الناس على خير ما يعلمون.

فنسأله جلّ وعلا أن يحفظهم وأن يديم خيرهم علينا، كما نسأله جلّ وعلا، أن يشفي مرضاهم وسائر مرضى المسلمين، ونسأله تبارك وتعالى أن ينصر الإسلام والمسلمين، وأن

---

[1] [سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٠٥].
[2] [العقيدة الطحاوية].
[3] [" تبيين كذب المفتري " ص ٢٩].

يعلي راية الدين، كما نسأله تبارك وتعالى، أن يردّ كيد أعداء الدين، من اليهود والنصارى والمشركين.

اللّٰهُمَّ انصر الإسلام والمسلمين، واخذل الكفرة والمنافقين، وعليك اللّٰهُمَّ بأعداء الدين، فإنهم لا يعجزونك يا رب العالمين.

اللّٰهُمَّ إنا نعترف إليك بتقصيرنا وذنوبنا، ونعلن إليك توبتنا وعودتنا وأوبتنا إليك يا رب العالمين.

ومنّ علينا بفضلك يا أرحم الراحمين بسقيا رحمة لا سقيا عذاب، اللّٰهُمَّ اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللّٰهُمَّ اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللّٰهُمَّ اسقنا الغيث ولا تجلعنا من القانطين، اللّٰهُمَّ سقيا رحمة لا سقيا عذاب، اللّٰهُمَّ غيثا نافعا غير ضار، عاجلا غير آجل، اللّٰهُمَّ على الآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر وعلى الظراب يا رب العالمين، يا أرحم الراحمين، إنك سميع قريب مجيب.

أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم إنه غفور رحيم، وسبحانك اللّٰهُمَّ وبحمدك أشهد ألّا إلٰه إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

****

الجمعة الأولى (٢١ ربيع الثاني ١٤٣٧هالموافق ٢٢ جانفي ٢٠١٦م)

[الخطبة الأولى]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**} آل عمران١٠٢.

{**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**} النساء١.

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠)، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**} الأحزاب٧٠-٧١.

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله: أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله جل وعلا، فاتقوا الله عباد الله، اتقوا الله جل وعلا وراقبوه، {وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} طه٧-٨ .

ثم اعلموا عباد الله أن للعلماء مكانة عالية، ومنزلة سامية، أنزلهم الله إياها، ودلّنا عليها نبينا صلى الله عليه وسلم، فلا يجوز الاستخفاف بحقهم، أو الاستهزاء بكرامتهم، وكفى زاجرا عن هذه الفعال السيئة، قول نبينا صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي وأحمد، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (**ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا،**

ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويعرف لعالمنا حقه)[١]، فليس منا من لم يعرف لعالمنا حقه.

قال الإمام طاووس بن كيسان رحمه الله **(من السنّة أن يوقّر أربع، العالم، وذو الشيبة، والسلطان، والوالد)**[٢]، انتهى كلامه رحمه الله.

وكنا قد ذكرنا لكم عباد الله في الجمعة الماضية، ما يدلّ على أن الشريعة الغرّاء، قد جعلت للعلماء اعتبارا عظيما، وأنزلتهم مقاما رفيعا، ولقد ذكرنا أدلة على ذلك.

ومن الأدلة أيضا -زيادة على ما سبق- وكما يقول العلماء: توارد الأدلة يزيد الأمر وجوبا، ويزيده قوة وتأكيدا، وإلا فدليل واحد مما سبق أو دليلان يكفيان لبيان هذا الاعتبار، وهذه المنزلة العظيمة، ولكن تكرار الأدلة لما فيها من معانٍ مختلفة، وكلّها وجميعها تصبّ في هذا القالب الواحد، ألا وهو اعتبار الشريعة للعلماء.

فمن الأدلة على ذلك عباد الله، أن العلماء هم المبلّغون عن الأنبياء، قال صلى الله عليه وسلم -يخاطب الصحابة الكرام- **(تسمعون، ويُسمع منكم، ويُسمع ممن سمع منكم)**[٣]، رواه الإمام أحمد، فالصحابة الكرام سمعوا من النبي عليه الصلاة والسلام، وأدوا ذلك إلى من بعدهم، فسمع منهم التابعون، ثم أدى التابعون لأتباعهم، فسمع الأتباع عنهم فكان هذا دليلا على فضل هذه القرون الثلاثة، كما جاء ذلك في نصوص وأحاديث كثيرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، كما يدلّ أيضا على فضل العالم، وأنه مبلّغ عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود **(نضّر عبدا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها فربّ حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)**[٤]، فهذا فيه دعاء

---

[١] [صحيح الجامه ٥٤٤٣].
[٢] [رواه البيهقي في (المدخل إلى السنن الكبرى) ص٣٨٠].
[٣] [صحيح الجماع ٢٥٤٧].
[٤] [صحيح أبي داود ٣٦٦٠].

منه عليه الصلاة والسلام، على نضارة العلماء، فيما يبلغونه ويحملونه من العلم عن الأنبياء.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله **(إن العالم شارع من وجه)** أي يصح أن يسمى العالم بأنه شارع قال رحمه الله **(لأن ما يبلّغه من الشريعة إما منقول عن صاحبها، وإما مستنبط من المنقول)**، ما يعلّمنا العالم إما هو نص أخذه من كتاب أو سنة، وإما فهم يُستنبط من هذه الأدلة، قال **(فالأول)** أي أخذه من نص الكتاب والسنة، يقول لك: قال الله جلّ وعلا، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا، قال **(فالأول يكون فيه مبلغا والثاني يكون فيه قائما مقامه)** أي مقام النبي صلى الله عليه وسلم، أو مقام الشارع **(في إنشاء الأحكام وإنشاء الأحكام إنما هو للشارع فإذا كان للمجتهد إنشاء الأحكام بحسب نظره واجتهاده فهو من هذا الوجه شارع واجب اتباعه والعمل على وفق ما قاله وهذه هي الخلافة على التحقيق)**[1]، انتهى كلامه رحمه الله.

ولهذا لمّا رأى أحد الأمراء أحد العلماء، وحوله جمهرة من الناس، هذا يسأله عن صلاته، وذا عن وضوئه، وذا عن عقد من العقود في الشراء، أو عن نكاح أو طلاق، والأمة حوله، قال: من هذا؟! قالوا: هذا العالم الفلاني، فقال: هذا هو الملك حقا!.

ومن الأدلة الشرعية للعلماء في هذه الشريعة، أن العلماء أراد الله جل وعلا بهم خيرا، قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم من حديث معاوية رضي الله عنه **(من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)**[2]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله **(إذ كل أمة -قبل مبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم- فعلماؤها شرارها، إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم)**[3].

ومن الأدلة أيضا -عباد الله- أن نجاة الناس -أي إنما ينجو الناس منطوة بوجود العلماء، فإن يُقبضوا يهلك الناس كما قال صلى الله عليه وسلم **(إن اللهَ لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا**

---

[1] [الموافقات ٤/٢٤٥].
[2] [متفق عليه].
[3] [رفع الملام عن الأئمة الأعلام ٩].

ينتزِعُهُ من العبادِ، ولكن يقبضُ العلمَ بقبضِ العلماءِ، حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا، اتخذَ الناسُ رُؤوسًا جُهَّالًا، فسُئِلوا، فأفْتَوا بغيرِ علمٍ، فضلوا وأضلوا)[1]، فإنما ضلالهم وإضلال هؤلاء لغيرهم بعد فُقد العلماء، وبوجود العلماء توجد النجاة، كما يُفهم من هذا الحديث.

وليس يغني -عباد الله- عن العلماء وجود الكتب، حتى ولو كانت كتبا سماوية، ولو أغنت هذه الكتب، لأغنت عن بني إسرائيل، فقد ضلوا عن سواء السبيل، أما النصارى فعملوا بجهل فكانوا من الضالين، وأما اليهود فعلموا ولم يعملوا فكانوا من المغضوب عليهم، فلم يكن في هؤلاء حملة للعلم صادقون، فصار حالهم إلى الهلاك عياذا بالله تعالى، ولهذا جاء في الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، فشخص ببصره إلى السماء -أي نظر إلى السماء- فقال عليه الصلاة والسلام (**هذا أوَانُ يُخْتَلَسُ العِلمُ من الناسِ ، حتى لا يَقدِرُوا مِنهُ على شيءٍ)** فقال زياد بن لبيد الأنصاري، رضي الله عنه وأرضاه: **كيف يختلس منا العلم وقد قرأنا القرآن؟ فوالله لنقرأنّه ولنقرئنّه أبناءنا ونساءنا**، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(ثَكِلَتْكَ أمُّكَ يا زِيادُ ! إنْ كنتُ لَأَعُدُّكَ من فُقهاءِ أهْلِ المدينةِ ، هذه التَّوراةُ والإنجيلُ عندَ اليهودِ والنصارَى فماذا تغني عنْهمْ)**[2]، رواه الدارمي والإمام الترمذي.

فليس يغني عن العلماء -عباد الله- الكتب فقط، لابد من العلماء، للاستنارة بفهمهم، والاستضاءة بما أعطاه ربّ العزة والجلال من اللب والعقول، قال ابن عباس رضي الله عنهما (**أتدرون ما ذهاب العلم من الأرض؟**) قلنا: لا، قال (**أن يذهب العلماء)**[3]

---

[1] [صحيح البخاري ١٠٠].
[2] [صحيح الترمذي ٣٦٥٣].
[3] [العلم لزهير بن حرب ص١٦].

وقال أيضا رضي الله عنه (**لا يزال عالم يموت وأثر للحق يدرس حتى يكثر أهل الجهل، وقد ذهب أهل العلم، فيعملون بالجهل، ويدينون بغير الحق، ويضلون عن سواء السبيل**)[١] رواه الدارمي في سننه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما هذا الكلام إثر دفن ابن زيد رضي الله تعالى عنه، فبينما هو يدفنونه وبعد أن أتموا دفنه، دمعت عينه على قبره وقال (**لقد دفن اليوم علم كثير**) أو قال (**علم كبير**)، ثم قال (**أتدرون ما ذهاب العلم من الأرض؟**) قلنا: لا، قال (**أن يذهب العلماء**)، ذلك أن العالم -عباد الله- يحوي بين جنبيه، ويحمل في صدره علما عظيما جليلا كثيرا، فإذا مات ذهب ذلك العلم معه، إلا إذا كان من معه قد أخذوا منه فعند ذلك لا تزال الخيرية فيهم ما أخذ الآخر عن الأول.

وسأل هلال بن خبّاب سعيد بن جبيرٍ، فقال: يا أبا عبد الله ما علامة هلاك الناس؟ قال: (**إذا هلك علماؤهم**)[٢]، رواه الإمام الدارمي، إذا هلك العلماء، هلك الناس -عباد الله-، ولهذا كان أئمة السلف إذا سمع الواحد فيهم بموت عالم من العلماء، يرى أن جزءً منه قد زال وذهب، لموت العلماء، وقد فسّر بعض أهل العلم قول ربّنا جلّ وعلا {**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا**}الرعد٤١، قال: نقص أطراف الأرض إنما هو بذهاب العلماء، ومما يؤيد هذا المعنى عباد الله -أي أن هلاك الناس إذا هلك العلماء- ما جاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويُشرب الخمر، ويظهر الزنا.**)[٣]، إلى آخر قوله عليه الصلاة والسلام، فانظروا رحمكم الله، كيف ربط صلى الله عليه وسلم كثرة الشرّ -عياذا بالله- بارتفاع العلم، الذي إنما يكون بقبض العلماء، وإذا كثر الشرّ كان نذير خطر، وهلاك عياذا بالله تعالى.

---

[١] [جامع بيان العلم وفضله ٦٠٣/١].
[٢] [رواه الدارمي رقم (٢٤١).].
[٣] [متفق عليه].

ومن أدلة اعتبار العلماء -عباد الله- أن البشر حاجتهم إلى العلماء حاجة عظيمة، قال الإمام أحمد رحمه الله **(الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرتين أو ثلاثا، والعلم يحتاج إليه في كلّ وقت)**[١]، انتهى كلامه رحمه الله.

فحاجتنا إلى العلماء حاجة ذاك الرجل الذي سلك طريقا وعرا، مظلما في ليلة شديدة الظلمة، فيحتاج إلى من يدله إلى الطريق، وينير له الطريق، يحتاج إلى مصباح منير ينير له الطريق، فكذلك العلماء، مصابيح تضيء للأمة طريقها، قال ربنا جلّ وعلا {**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**}المائدة١٥-١٦.

فالعلماء -عباد الله- مثلهم كمثل النجوم يهتدى بها في الظلمات، وقد روي في هذا حديث، لكنه ضعيف كما قال أهل العلم، وفيه تمثيل العلماء بالنجوم، قال الإمام الحافظ ابن رجب رحمه الله، مبينا وجه تشبيه العلماء بالنجوم، قال **(لأن النجوم يهتدى بها في الظلمات، وهي زينة للسماء، ورجوم للشياطين الذين يسترقون السمع)**، وهذه الثلاث جاءت في آيات الكتاب كتاب الله عز وجل قال **(والعلماء في الأرض تجتمع فيهم هذه الأوصاف الثلاثة: بهم يهتدى في الظلمات، وهم زينة للأرض، وهم رجوم للشياطين الذين يخلطون الحق بالباطل، ويدخلون في الدين ما ليس منه من أهل الأهواء، وما دام العلم باقيا في الأرض فالناس في هدى)**[٢]، انتهى كلامه رحمه الله.

فمثل العالم -عباد الله- مثل الغيث والماء انتفاع الناس بهما غير محدود قال ميمون بن مهران رحمه الله **(إن مثل العالم في البلد كمثل عين عذبة في البلد)**[٣].

وقال بعضهم **(مثل العلماء مثل الماء حيثما سقطوا نفعوا)**[٤].

---

١ [أعلام الموقعين ٢٥٦/٣].
٢ [مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي ١/ ١٤-١٥].
٣ [" جامع بيان العلم وفضله " (١/ ٢٣٧)].
٤ [جامع بيان العلم وفضله٢٥٧/١].

كان الإمام أحمد كثيرا ما يستغفر ويدعوا للإمام الشافعي، فسأله ابنه قال: يا أبي أي رجل كان الشافعي؟ فإني سمعتك تكثر من الدعاء له، قال (**يا بني كان كالشمس للدنيا، وكالعافية للبدن، فهل لهذين من خلف؟ أو منهما من عوض؟**)[1]، انتهى كلامه رحمه الله.

فهذه مجموعة من أدلة تبين أن الشريعة أولت للعلماء اعتبارا عظيما، يجب على المسلمين أن يولوا هذا الاعتبار، لعلمائهم، نسأل الله جل وعلا ممن يوقر العلماء، ويعطيهم حقهم، إنه سميع قريب مجيب والحمد لله رب العالمين.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، كما يحبّ ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد -عباد الله-:

بعد أن علمنا ما أعطته الشريعة للعلماء من اعتبار، لنعلم جميعا عباد الله، أنه يلزمنا تجاه العلماء واجبات لابد من القيام بها، ومن ذلك عباد الله:

احترامهم وتقديرهم، فقد قال عليه الصلاة والسلام -كما ذكرنا في الحديث السابق- **(ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويعرف لعالمنا حقه).**

ومن واجبنا تجاه علمائنا، أن نأخذ العلم عنهم، وأن نسعى في ذلك، فهم حمَلَة الشريعة، قال سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه (**لا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى يتعلم الآخر، فإذا هلك الأول قبل أن يتعلم الآخر هلك الناس**)[2]، رواه الدارمي من طرق.

قال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله (**كان الرجل من أهل العلم إذا لقي من هو فوقه في العلم فهو يوم غنيمته؛ سأله وتعلم منه، وإذا لقي من هو دونه في العلم علمه وتواضع له، وإذا لقي من هو مثله في العلم ذاكره ودارسه**)[3].

[1] [وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٤/١٠٦].
[2] [رواه الدارمي (١ /٢٧٨)].
[3] [المحدث الفاصل ص٢٠٦].

ومن واجبنا تجاه العلماء عدم الوقوع فيهم، وعدم القدح فيهم، فقد قال صلى الله عليه وسلم (**فإن دماءَكم، وأموالَكم، وأعراضَكم ، بينكم حرامٌ ، كحرمةِ يومِكم هذا ، في شهرِكم هذا ، في بلدِكم هذا**)[1]، هذا في حرمة المسلم، فكيف إذا كان هذا المسلم عالما من العلماء، فالأمر في حق العلماء أشد وأشد، فالواقع والقادح في العلماء، بالهوى والحيف والجور والظلم، كما قال الإمام الذهبي، يعدّ هذا جرما عظيما، وتهمة في الدين.

قال ابن المبارك رحمه الله (**من استخف بالعلماء، ذهبت آخرته**) فاحذروا عباد الله، من الجرأة على العلماء، ومن الطعن في العلماء، ومن غيبة العلماء، فالغيبة حرام، وهي في حق العالم أشد منها في حق غيره من الناس، ولا يجوز عباد الله أن نجرّئ الرعاع، والعوام، على الطعن في العلماء.

ومن واجبنا تجاه العلماء أيضا تقدير ما عندهم من العلم، وعدم المجازفة والمسارعة إلى تخطئتهم دون علم، ودون بينة أو دليل، ولهذا كان من تمام هذا الواجب، أن نلتمس لعلمائنا العذر، وكم نُقل عن أئمة السلف، أنهم كانوا يقولون (**إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذرا، فإن لم تجد فقل: لعل له عذر**)، فإذا كان هذا في آحاد الناس، فكيف هو في حق العالم الذي سبق وأن ذكرنا منزلته ومرتبته.

ومن واجبنا تجاه العلماء -عباد الله- أن نرجع إليهم في المسائل والحوادث، خاصة في زمن الفتن، وأن نصدر عن رأيهم كذلك، وذلك أن الحوادث، والوقائع إذا وقعت، فالسبيل إلى الاهتداء إلى الصواب فيها، مبني على معرفة بالأدلة الشرعية العامة، ومعرفة للأدلة التفصيلية المتعلقة بالحادثة والواقعة، ومعرفة بمقاصد الشريعة، وموازنة بين المصالح والمفاسد، وهذا لا يمكنه العوام أبدا، وإنما هو للعلماء.

ومن الواجب تجاه العلماء -عباد الله- أن نضع الثقة فيهم، ولذا إذا اجتهدوا فإنهم بين أجرين وأجر واحد، كما قال عليه الصلاة والسلام، فلا يجوز بحال من الأحوال المبادرة

[1] [متفق عليه].

إلى الاعتراض عليهم، مع سوء الظن بهم، فإن ذلك ليس من إنزالهم المنزلة التي أنزلها الله إياهم.

ولذلك مما قرره علماؤنا أن العالم له منزلته، وتقديره واحترامه، ولا يعني ذلك تقديسه، فإنه إذا بيّن غيره من العلماء خطأه تركنا ذلك الخطأ، واتبعنا الحق الذي بيّنه غيره من العلماء، مع حفظ كرامة العالم، فالعالم تُجتنب زلّته وتُحفظ كرامته، كما قال غير واحد من أهل العلم.

وإن مما ينبغي -عباد الله- أن يعرف في حق العلماء، أن اعتبارهم شرعا يكون في كل المناحي، وفي كل جوانب الحياة، ولذلك من الواجب على أصحاب التخصصات، من اقتصاد وغير ذلك، إفادة العلماء والبيان لما يتعلق بتخصصاتهم للعلماء، حتى يشير عليهم العلماء بالأحكام الشرعية الموافقة للوقائع والحوادث التي تقع في دنيا الناس.

ويخطئ كثيرا -عباد الله- أن جانب الاعتبار للعلماء إنما هو في جانب الشرع فقط، دون سائر جوانب الحياة!، ويجعلون الجوانب الأخرى لمن يسمى بالمفكّرين، أو السياسيين، أو غير ذلك، فهذا خطأ في اعتبار المنزلة التي أعطتها الشريعة لعلمائنا.

ومما ينبغي أن نلحظه -عباد الله-، أن الأخذ عن العلماء لا يقتصر فقط على مجرد العلم والفتيا، بل لابد من أخذ الهدي والسمت والعمل والسلوك والأخلاق عنهم، وهذا بملازمتهم، قال ابن سيرين -من أئمة التابعين- رحمه الله **(كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم)**[١]، أي يتعلمون سمت العالم، وأخلاقه، وتصرفاته، كما يتعلمون العلم عنه، وبعث ابن سيرين رجلا إلى القاسم -أي القاسم بن محمد بن أبي بكر وهو أحد الفقهاء السبعة- قال: فلينظر كيف هدي القاسم وحاله، ليأخذ عنه مع العلم الهدي والحال، والسمت والأخلاق، فهذا مما ينبغي أن نتنبه له جميعا عباد الله.

[١] [الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٧٩/١].

فنسأل الله جل وعلا أن يحفظ لنا علماءنا، وأن يقيهم شرّ الأعداء، كما نسأله تبارك وتعالى أن يبعد عنهم تربّص كلّ متبرص بهم، ونسأله تبارك وتعالى أن يزيدهم علما إلى علمهم، وأن يثبّت خطاهم، وأن يجعلهم منارة لهذه الأمة، يأخذون بأيديها إلى برّ الأمان، وإلى الصراط المستقيم.

كما نسأله جل وعلا أن ينصر الإسلام والمسلمين، وأن يخذل الكفرة والمنافقين، ونسأله تبارك وتعالى أن يرفع الظلم عن إخواننا المظلومين، ونسأله جلّ وعلا، ونسأله جلّ وعلا أن ينفّس عن المظلومين الكرب الذي هم فيه، في كل أرض العالم، سواء كان بأرض الشام أو العراق، أو غيرها من الأراضي التي صار يعذّب فيها المسلمون عذابا شديدا، ولا يجدون أحدا يعطي لهم يد عون، فنسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، أن يرفع عنهم ذلك.

اللّهُمَّ إنهم عبادك وبنو عبادك وهم ضعفاء يا رب العالمين، اللّهُمَّ فكن لهم نصيرا، وارفع عنهم كيد الأعداء يا رب العالمين، اللّهُمَّ وسع عنهم ضيقهم يا رب العالمين، وفرج عنهم كلّ الكرب يا أرحم الراحمين يا عزيز يا جبّار.

أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم إنه غفور رحيم، وسبحانك اللّهُمَّ وبحمدك أشهد أن لا إلٰه إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.